متحف الآثار الفِلَسْطينيّ في القدس

د. عمران طه

باحث في علم الآثار

مقدّمة

يمثِّلُ متحف الآثار الفِلَسطينيّ، المعروفُ أيضًا باسمِ متحف روكفلر، علامةً معماريّة مَشْهديّة في مدينة القدس، ويروي هذا المُتحفُ تاريخيْنِ متداخِلَيْنِ؛ تاريخَ فلسطينَ الحضاريَّ عبر العصور، ثمَّ تاريخَ الصّراع السّياسيَّ الممتدَّ لأكثر من قرن من الزّمان على الأرض، والرِّواية التّاريخيّة، وارتبط تاريخُ هذا المتحف ارتباطًا وثيقًا بالتّاريخ السّياسيِّ الفِلَسْطينيّ على مَدار القرن الماضي. عاصر هذا المتحفُ مراحلَ تاريخيّةً مختلفةً، منذ فكرة تأسيسِه الأولى، في أواخر الفترة العثمانيّة والمتمثِّلة بالمُتحف الإمبراطوريّ العثمانيّ «همايون» الذي فتح أبوابَه سنة 1901، واستمرَّ حتَّى الحرب العالميّة الأولى، ثمَّ انتقال المجموعة المتحفيّة إلى متحفِ الآثار الفِلَسْطيني الذي تأسَّس سنة 1921م، من قِبَلِ حكومة الانتداب البِريطانيِّ في مبنى دائرة الآثار نفسِه، ومشروع المتحفِ الجديد الذي بدأ العمل عليه سنة 1925م، وافتتح أبوابَه

سـنة 1938، واسـتمرَّ تحـت إدارة حكومـة الانتـداب البريطـانيّ، حتَّـى النَّكبـة سـنة 1948، والفـترة التـي تلَـتْ بعـد ضـمِّ الضِّفّـة الغربيّـة إلى المملكـة الأردنيّـة، وخضوعـه لـلإدارة الدّوليّـة مـا بـين 1948-1966، ثـمَّ اسـتملاك المتحـفِ مـن قِبَـلِ الحكومـة الأردنيّـة سـنة 1966م، بالتَّوافـق مـع اللُّجنـة الدّوليّـة، وإدارتـه المبـاشَرَة مـن قِبَـلِ الحكومـة الأردنيّـة، لفـترة قصـيرةٍ لم تـزد عـلى ثمانيـة أشـهرٍ، لحـين وقوعِـه تحـت سُـلطة الاحتـلال العسـكريِّ الإسرائيـليِّ سـنة 1967م، وحتَّـى الآنَ. ويجـري توظيـفُ هـذه المؤسَّسـة التـي تضـمُّ مبـانيَ المُتحـف، ومبـانيَ دائـرة الآثـار الفِلَسْـطينيّة، مـن قِبَـلِ سـلطات الاحتـلال، في إنتـاج روايـة تاريخيّـة صَهيونيّـة تخـدُمُ الاحتـلال الإسرائيـليَّ لـلأراضي الفِلَسْـطينيّة.

يُمثِّـل متحـف الآثـارِ الفِلَسْـطينيُّ في الخطـاب الثَّقـافيّ الفِلَسْـطينيّ أنموذجًـا لمتحـف وطنـيٍّ يـرزَحُ تحـت الاحتـلال، بموجِـبِ القانـون الوطنـيِّ والقانـون الـدّوليّ، ونـصِّ قانـون الـتّراث الثّقـافيّ المـادِّيِّ الفِلَسْـطينيّ الـذي صـدَرَ سـنة 2018، بكَـوْنِ هـذا المتحـفِ متحفًـا وطنيًّـا فِلَسْـطينيًّا تحـت الاحتـلال الإسرائيـليّ. إنَّ تعقيـداتِ هـذا التاريـخ اسـتدعَتْ تَتَبُّـعَ مسـيرةِ هـذا المتحـفِ منـذ البدايـات الأولى، وحتَّـى الوقـت الحـاضرِ، إلى جانـب توضيـح مكانـةِ المتحَـفِ، مـن وجهـة نظـرِ القانـون الوطنـيِّ والـدّوليّ.

البدايات: المتحف الإمبراطوريُّ العثمانيّ (1901-1917)

وَرِثَ متحـفُ الآثـار الفِلَسْـطينيّ الحـاليّ مجموعـة المتحـف الإمبراطـوريِّ العثـمانيّ (همايـون) في القـدس، وهـو المتحـفُ الـذي طالَـما تـمَّ تغييـبُ تاريخـه عمـدًا، في الدِّراسـات التّأريخيّـة والرِّوايـة الرَّسـميّة الإسرائيليّـة، للعمـل الأثـريِّ والمتحفـيِّ في فِلَسْـطينَ، في القـرن المـاضي. وألقَـتْ بعـض الدِّراسـات الحديثـة (لاورنـت وتاشـكومور 2013، لاورنـت 2017) مؤخَّـرًا الضَّـوْءَ عـلى بدايـات العمـلِ المتحفـيِّ، في فِلَسْـطينَ والمتمثِّلـة بإنشـاء المُتحـفِ الإمبراطـوريِّ العثـمانيّ، في مدينـة القدس، وتطـوُّرِه اللاحـق.

شهِدَتْ نهاية القرن التاسعَ عَشْرَ بزوغَ علمِ الآثار كمجالِ بحثٍ معرفيٍّ جديدٍ، واهتمامًا غير مسبوقٍ بآثار فِلَسْطينَ، من قِبَلِ المستكشفين، وعلماءِ الآثار، واللاهوت الغربيِّين. وأثارتِ الدِّراسات الاستكشافيّة لاولريخ غاسبر سيتزن، وإدوارد روبنسون، وفان دير فلدة، وآخرين مزيدًا من الاهتمامِ بتاريخ الأراضي المقدَّسة. وكان مَسْحُ غربِ فِلَسْطينَ الذي قام به فريق بريطانيٌّ 1971-1977م، أكبرَ المشاريع المَسحيّة التي نُفِّذَتْ في هذه الفترة، ونَتَجَتْ عنها خرائطُ دقيقةٌ لِفِلَسْطين، كما شهدَتْ بدايةَ أعمال التَّنقيب في تلِّ الحسيّ، وتلِّ السّلطان والقدس، وتلِّ أبو شوشةَ، وتلِّ تْعِنّكَ، وسَبَسْطْيةَ. ولم ينفصِلْ هذا الاهتمامُ العلميُّ عن المطامع الإمبرياليّة في فِلَسْطينَ (طه 2009: 87-91).

خضعتْ فِلَسْطين للحكمِ العثمانيِّ لمدَّة خمسةِ قرون، وحتَّى الحرب العالميّة الأولى، وشهِدَتِ الفترةُ المتأخِّرة، من العهد العثمانيِّ، تنافسًا قويًّا بين القُوى الاستعماريّة، خصوصًا بِريطانيا وفرنسا، في الاستحواذ على آثار الإمبراطوريّة الآفلةِ (سيلبرمان 1982، كوربت 2014). وفي إطار الإصلاحاتِ العثمانيّة، في أواخر القرن التاسعَ عَشْرَ، صدَرَ أوّلُ قانون عثمانيٍّ لتنظيمِ وضعِ الآثار سنة 1869م، وهَدَفَ القانونُ إلى وضعِ إطارٍ قانونيٍّ للعمل الأثريِّ، وحضَّ حكّامَ الأقاليم على جمعِ الموادِّ القديمة، بكلِّ الوسائل المُتاحة، بما في ذلك الشِّراءُ، وإرسالِ هذه الموادِّ إلى العاصمة إسطنبولَ. وتمَّ تعديل القانونِ في سنة 1874، وأكَّد القانونُ لأوَّلِ مرَّة على كَوْنِ جميعِ الموادِّ الأثريّة مِلْكًا للدَّولة، وسعى إلى مجابهةِ ظاهرةِ التَّنقيبات الأجنبيّة المتزايدة، ومحاولة السَّيطرة عليها، وعلى الكمّيّات الكبيرةِ من الموادِّ الأثريّة المكتشفة (لاورنت وتاشكومور 2013: 10).

خضع القانونُ لتعديلاتٍ أُخرى، في السَّنوات 1884 و1907م، في محاولة للسَّيطرة على فَرْضِ خروج الموادِّ الأثريّة خارجَ حدود الإمبراطوريّة العثمانيّة، بما في ذلك محاولاتُ القُوى الاستعماريّة الأوروبيّة، إخراجَ الموادِّ الأثريّة

تحت واجهة العمل التَّبشيريِّ. وفي هذه الفترةِ تمَّ جمعُ كثيرٍ من الموادِّ الأثريّة المُهمّة، في إسطنبولَ، مثلِ نقشِ سُلوانَ، ونقشٍ للخليفة الأمويِّ عبدِ الملك، وتمثالِ الإله زيوس في غزَّةَ. لَعِبَتِ المكانةُ المقدَّسة لمدينة القدس دَوْرًا كبيرًا في صِياغة التَّوجُّهات السّياسيّة العثمانيّة، في هذه المرحلةِ (كوربت 2014: 60)، وتمَّ تأسيسُ أوّل متحفٍ عثمانيٍّ خارج العاصمةِ إسطنبولَ، في مدينة القدس، وهو المتحف الإمبراطوريُّ العثمانيُّ سنة 1901. وهو واحد من أربعة متاحِفَ إقليميّةٍ في الإمبراطوريّة (لاورنت وتاشكومور 2013: 6).

وجرى تأسيسُ المتحف بالتّعاون ما بين السُّلطات العثمانيّة، والسُّلطات المحلّيّة، ومشاركةِ علماءِ آثار إنجليزٍ، من صندوق استكشاف فِلَسْطين البريطانيِّ. وتولَّى الفِلَسطينيُّ المَقدسيُّ شوكتِ الخالديّ وظيفةَ مفَوَّضِ التَّنقيب، ومديرُ اتِّصال للمتحف، وضابطُه (نفس المصدر، 23). وبدأ النِّقاش حول إنشاءِ متحفٍ في مدينة القدس؛ لإيواء الموادِّ الأثريّة، في فِلَسْطينَ سنة 1891، وكان من بواعثِه أيضًا، العملُ على التَّصدِّي للرِّواية الأثريّة التَّوراتيّة الرّائجة.

فتح المُتحفُ أبوابَه للجمهور سنة 1901م، في المدرسة المأمونيّة كمتحفٍ حكوميٍّ لمدينة القدس. وفي سنة 1899م، تمَّ إيداعُ 465 قطعةً أثريّةً في المتحف، وانخرط عالِمُ الآثار البريطانيُّ فريدريك بلس، في هذا العمل التَّحضيريِّ، وأعدَّ قوائمَ الموادِّ الأثريّة، وأشْرَفَ على العرْضِ المُتحفيّ، وكان الدَّوْرُ المحلّيُّ فاعلًا في إعداد المتحف. ويُشير عادل منّاع (2008: 127) إلى أنَّ إعدادَ المتحفِ كان تحت إشرافِ إسماعيل الحسينيِّ (1886-1945م) وهو المُفتي ومديرُ المعارف آنذاك. وكانت بَصْماتُ فريدريك بلس بارزةً في العرضِ، من خلال استخدام اصطلاحاتِ التَّسلسلِ الزّمنيِّ التَّوراتيّ، مثلِ «فترة ما قبل الإسرائيليِّين» وفترة «الإسرائيليِّين» والفخار «اليهوديّ»، وهي اصطلاحاتٌ إثْنيّة نبذَها البحث الأثريُّ اللاحق. كانت هذه التَّجربة مَدارًا لجدل واسعٍ بين بلس وصُندوقِ استكشافِ فِلَسْطينَ الذي كان مُهتمًّا بإنشاء

متحف ذي طبيعة توراتيّة. وفي هذه الأثناءِ اشتكَى بلس من أنَّ «الأجانب يرغبون في العمل دونَ أيَّة رقابةٍ حكوميّة عثمانيّة»، وهم يُقيمون القليلَ من الاعتبارَ للقوانين، وعاداتِ السّكّان في الأراضي التي يُنَقِّبون فيها (لاورنت وتاشكومور2013: 19-21).

نمَتْ مجموعة متحف القدس بسرعةٍ، لتضُمَّ ما يزيد على ستة آلافِ قطعةٍ أثريّة، في سنة 1910م، جاءت من عددٍ واسع من المواقع الأثريّة. وشَهِدَ عام 1909م خطوةً مهمّةً على طريق إصلاح البِنية المؤسَّسيّة للمتحف، مع تأسيسِ لُجنة المتحف، إلى جانب إعدادِ سجلٍّ (دفتر) بالموادِّ الأثريّة في المتحف. ووُضِعَ السّجلُّ استجابةً للقلقِ الذي ساوَرَ بعضُهم حول سوءِ إدارة المُقتنيات المتحفيّة، والتي أثارَها ماكلستر خليفةُ بَلَسَ، في تمثيل صندوق استكشافِ فِلَسْطينَ في القدس. وتشكَّلَتْ لُجنة المتحف من مواطنين محلِّيِّين، وضمَّت في عضويَّتِها كلًّا من إبراهيمَ باشا، ومصطفى خلوصي، وعبد الله رشدي، وموسى البُديْريِّ، ومحمد كميل، وحسين عوني. ومن بين مديري المتحفِ، في هذه الفترة، كان إبراهيم خليل، ومصطفى خلوصي، وحسن محسن (لاورنت وتاشكومور 2013: 24).

ومعَ تنامي حجمِ المجموعة الأثريّة، الذي فاقَ سَعَةَ المدرسةِ المأمونيّة المحدودة، وضَعَتِ السُّلطات العثمانيّة خطَّةً لنقل المجموعةِ إلى قلعة القدس، وتأجَّلَ تنفيذُ خطَّة النّقل؛ نظرًا لاندلاع الحربِ العالميّة الأولى. واتَّخذتِ السُّلطات العثمانيّة التَّدابيرَ لحماية المجموعة الأثريّة في أثناء الحربِ، من خلال تخزينِ الموادِّ الأثريّة في عدَّةِ أماكنَ في البلدة القديمة، ونَجَتْ في الحرب، وتسلَّمَها البريطانيّون سالمةً، وقد شكَّلت هذه المجموعةُ نُواةَ مجموعةِ متحفِ الآثارِ الفِلَسْطينيِّ الذي تأسَّس من قِبَلِ حكومةِ الانتداب البريطانيِّ سنة 1921م.

متحف الآثار الفِلَسْطينيّ الانتقاليّ (1921-1938)

انتهتِ الحرب العالميَّةُ الأولى بسقوطِ الدَّولة العثمانيّةِ، ووقوعِ القدس في قَبْضةِ القوّات الاستعماريّة البِريطانيّة، وتلا ذلك إعلانُ الانتدابِ البِريطانيِّ على فِلَسْطينَ، والذي اسْتُغِلَّ لتنفيذ وعدِ بلفورَ على الأرض، وتأسيس كِيانٍ قوميٍّ يهوديٍّ على أرض فِلَسْطينَ. وقامت حكومةُ الانتداب بتأسيسِ مجموعةٍ من الإداراتِ، من بينِها دائرةُ الآثار الفِلَسْطينيّة والمُتحف الفِلَسطينيُّ. وبدأ رونالد ستورز الحاكمُ العسكريُّ البِريطانيُّ لمدينة القدسِ فَوْرَ تسلُّمِه مهمّاتِ عملِه، في جمع المُقتنيات التي تخُصُّ المتحفَ العثمانيَّ، وفي 10 نوفمبر 1918م، أراد ستورز تأهيلَ مجموعةٍ من الغُرَفِ في قلعة القدس؛ لحفظ 120 صندوقًا من مُقتنياتِ متحَفِ همايون العثمانيِّ (لاورنت 1913، يحيى2017: 56)، وفي هذه الفترةِ تجدَّدَ النِّقاش الذي بدأ في الفترة العثمانيّةِ، حول استخدام قلعةِ القدسِ كَمُتحفٍ للمدينة، وجرى العمل على المُخطَّطاتِ، في الفترة ما بين 1921-1923م، وعارَضَ مدير دائرة الآثارِ جون غارستانغ الفكرةَ بكَوْنِ أنَّ المكان غيرُ ملائمٍ (لاورنت 2107: 42).

ارتبطَ تاريخ مُتحفِ الآثار الفِلَسْطينيِّ بتاريخ دائرةِ الآثار الفِلَسْطينيّة التي تأسَّست عام 1920، من قِبَلِ حكومة الانتدابِ البِريطانيّة، وتشاركَت المبنَى نفسَه معَ المدرسةِ البِريطانيّة للآثار، في القدس؛ تعبيرًا عن سياسة الهَيْمَنة الكولونياليّة البِريطانيّة. وكانتِ المجموعة المُتحفيّة الأولى التي وَرِثَتْها الحكومةُ من متحفِ همايون العثمانيِّ في القدس، نُواةَ المتحفِ الجديد، وعُرِضَتْ في إحدى قاعاتِ المبنَى. وشكَّلَ ستورز الحاكمُ العسكريُّ البِريطانيُّ مجلِسًا استشاريًّا للآثار رَئِسَهُ بنفسه؛ لتنظيمِ عملِ بِعْثات الاستكشافِ الأثريّة في فِلَسْطينَ، وضمَّ هذا المجلسُ مُمثِّلَيْنِ للمدارس الأثريّة البريطانيّة، والفرنسيّة، والأمريكيّة، والإيطاليّة، إضافةً إلى عُضوَيْنِ من أعيان المسلمينِ، واثنَيْنِ من أعيان اليهودِ. وتشكَّلتْ دائرة الآثار الفِلَسْطينيّة من خمسةِ أقسام؛ وهي التَّفتيش، والتَّوثيقُ، والمكتبةُ، والترَّميم، والتَّصويرُ الفوتوغرافيُّ، والمُتحفُ الفِلَسْطينيُّ. وتمَّ افتتاحُ متْحَفِ الآثار الفِلَسْطينيِّ في القدس، سنة 1921م.

(لاورنـت 2013، يحيـى 2017: 54).
أُقيـمَ مركـزُ الإدارة الأثريّـة في بيـت قديـمٍ، والمُسـمَّى (واي-هـاوس)، وكان يقـعُ عـلى طريـق شـارعِ نابُلَـسَ بالقُـرب مـن المدرسـة الدُّومينيكانيّـة، وتـمَّ تدشـينُه بتاريـخ 31 أكتوبـر 1921م، وضـمَّ المبنَـى مقـرَّ دائـرة الآثـارِ، ومتحـفِ الآثـار الفِلَسْـطينيِّ، ومقـرَّ المدرسـةِ البِريطانيّـة للآثـار، ومكتبـةَ المدرسـةِ الأمريكيّـة للآثـارِ (لاورنـت وتاشـكومور 30:2013-32، لاورنـت 2017: 42). وأضْفَـتِ السِّياسـةُ البريطانيّـة طابَعًـا كولنياليًّـا دُوليًّـا عـلى هـذا الإدارةِ، التـي تعاملَـتْ مـعَ الـتُّراث الفِلَسْـطينيِّ كمِلْـكٍ عالمـيٍّ، وليـس كَـتُراثٍ وطنـيٍّ. وأعـدَّ عالِـمُ الآثـار البِريطـانيُّ فيثيان-أدمـز أوَّلَ دليـلٍ للمُتحـف الجديـدِ سـنة 1924م، وفي سـنة 1931م، وصَـلَ عـددُ المجموعـة الأثريّـةِ في المتحـف، نحـو 11 ألـفَ قطعـةٍ.

وجديـر ذِكْـرُه أنَّ هـذه الفـترةَ شـهِدَتْ تأسـيسَ بعـضِ المتاحـف الخاصَّـةِ في القـدس، منهـا متحـفُ الآثـار الإسـلاميِّ، في مسـجد النِّسـاء، في المسـجد الأقـصى سـنة 1923، إلى جانـب متحـفِ الفَرنسيسـكانِ الـذي تأسَّـس سـنة 1920م. ويبـدو أنَّ السِّياسـة البِريطانيّـة في هـذه الفـترةِ كانـت تَقْـضي بإنشـاء متحـفٍ للفـنِّ الإسـلاميِّ، وآخَـرَ للفـنِّ اليهـوديِّ. وذلـك انسـجامًا مـع سياسـةِ حكومـة الانتـدابِ البريطـانيِّ في تأسـيس رِوايـاتٍ تاريخيّـة، ودينيّـةٍ إثنيّـةٍ تخْـدُمُ مشروعَهـا الاسـتعماريَّ في فِلَسْـطينَ. وكان باتريـك غيديـس قـدِ اقـترح سـنة 1919م إنشـاءَ متحـفٍ للآثـار في المـكان نفسِـه، الـذي اخْتـيرَ لاحقًـا لبنـاءِ المتحـفِ الفِلَسْـطينيّ. وفرَضَـتْ حكومـة الانتـدابِ البِريطـانيِّ سـنة 1924م، ضريبـةً خاصَّـةً عـلى المواطنـين الفِلَسْـطينيِّينَ؛ لإنشـاءِ متحَـفٍ، بمـا يؤكِّـدُ أنَّ جـزءًا مـن التَّمويـل الأسـاسِ قـد جـاء مـن أمـوال الشَّـعب الفِلَسْـطينيّ؛ خلافًـا للرِّوايـة السـائدة بـأنَّ تمويـلَ المتحـفِ جـاء كلّيًّـا مـن مِنْحـة روكفلـرَ.

متحف الآثار الفِلَسْطينيّ (1938-1948)

يقع متحفُ الآثار الفِلَسْطينيّ على تَلَّةٍ مُشرفةٍ على البلدة القديمةِ وجبلِ الزّيتون، في نهاية شارعِ السُّلطان سليمانَ القانونيِّ، مقابلَ الزّاوية الشّماليّة الشَّرقيّة لسُور البلدة القديمةِ (برج اللَّقلق)، ويُلاصقُ المدرسةَ الرّشيديّة من جهة الشَّرق، وتُعرَفُ هذه التَّلّةُ الإستراتيجيّة باسْمِ كَرْمِ الشَّيخ الخليليِّ، نسبةً إلى مُفتي القدس في القرن الثّامن عَشْرَ. وقد شُيِّدَ قصرُ الخليليِّ كَمِصْيفٍ على هذه التّلّة سنة 1711، وهو من المباني الأُولى التي شُيِّدَتْ خارج أسوارِ مدينة القدسِ (نور الدّين233:1988-234، لاورنت 2013، كودش-فاشدي وباروخ 2016، يحيى 2017: 56).

شُيِّدَ متحفُ الآثار الفِلَسْطينيّ من قِبَلِ دائرةِ الآثار الفِلَسْطينيّة، في حكومة الانتداب البريطانيّ، من خلال مِنْحة ماليّةٍ بقيمةِ مِليونَيْ دولارٍ مُقدَّمةٍ من الثَّرِيِّ الأمريكيِّ جون روكفلر، وأيضًا من ضرائبِ المواطنين الفِلَسْطينيّين الذين قاموا بتوفيرِ الأرض للمشروع. في عام 1925م، وافَقَ المليونيرُ الأمريكيُّ على التَّبرُّع بمِنحةٍ قيمتُها مليونا دولارٍ لبناء متحفٍ للآثار في القدس. وقدَّمَ الفكرةَ المستشرقُ الأمريكيُّ جيمس هنري بريستيد الذي أقْنَعَ صديقَه روكفلر بتمويل هذا المشروعِ الكبيرِ. وفي عام 1927 تمَّ توقيعُ اتِّفاقيّة التَّمويل من قِبَلِ الطَّرَفيْنِ، والتي حَدَّدَتْ شروطَ التَّمويل في رسالةٍ موجَّهةٍ من روكفلرَ إلى اللوردِ بلومرَ المستشارِ السّامي لحكومة الانتدابِ البريطانيّ.

ونصَّتْ رسالةُ روكفلرَ إلى اللوردِ بلومرَ على عدَّة شروطٍ؛ منها توفيرُ أرضٍ لبناء المتحفِ في قطعة الأرضِ المعروفةِ باسْمِ كَرْمِ الشَّيخ، في الزّاوية الشّمالية الشَّرقيّة، والمُمتدَّةِ على مِساحة ثمانيةِ هكتاراتٍ، كَهِبَةٍ من قِبَلِ حكومةِ فِلَسْطينَ، وإزالةُ المِحْرقةِ إلى مكانٍ آخَرَ، وضمُّ المِنْطقةِ إلى الخارطة الهيكلية، وأنْ يكونَ المتحفُ مؤسَّسةً للآثار، وليس مُتحفًا للعلوم الطّبيعيّة، وأنْ تُلْقَى مسؤوليّةُ إنشاءِ المتحف، وإدارتِه على عاتقِ حكومةِ فِلَسْطينَ، وذلك بالتَّشاور معَ مجلِسِ أُمناءَ استشاريٍّ دُوليٍّ، وأعْلَنَ روكفلرُ في ختام رسالته دعمَه للاقتراح وتقديمَه مبلغَ مليونَيِ دولارٍ لتغطية تكاليفِ البناء، والتَّجهيزِ

أيضًا (نور الدّين 1988: 234، كودش-فاشدي وباروخ 2016). واسْتُخْدِمَ نِصْفُ المنحة للبناءِ، وتجهيزِ مبنَى المتحفِ، والنِّصفُ الآخرُ كوديعةٍ لإدارة المتحفِ ودائرةِ الآثار. وكان من شروط المِنْحة الحفاظُ على شجرةِ الصَّنَوْبَرِ المعمِّرةِ في المبنَى إلى جانب قَصْرِ الشَّيخ، وهو بناء من طابقَيْنِ. وتمَّ الاتِّفاقُ على أنْ تقومَ حكومة الانتدابِ البِريطانيّ بتوليِّ إدارة المتحفِ مُستقبلًا، من خلال لُجنة استشاريّةٍ للمتحفِ (كوهن-حطاب وشوفال 2015: 53).

وقامتْ فكرةُ المُتحفِ على مفهوم حضاريٍّ إنسانيٍّ متعدَّدِ الثَّقافات؛ لإبراز التَّنوُّع الثّقافيّ للبلاد، وعرْضِ الموادِّ التي تُلْقي الضَّوْءَ على تاريخ الإنسان في فِلَسْطينَ.

وفرَّتْ دائرة الآثار الفِلَسْطينيّة الأرضَ الواقعةَ في كَرْمِ الشَّيخ في الزّاوية الشّمالية الشَّرقيّة للبلدة القديمة في القدس، وتمتدُّ على مِساحة 25 دونمًا (ثمانية هِكْتاراتٍ) لبناء المتحف ومقرٍّ دائرة الآثارِ الفِلَسْطينيّة. وتمَّ شراءُ الأرض من عائلة الخليليِّ، وأوْكَلَتْ مَهَمَّةَ تصميم المتحفِ إلى المهندس البِريطانيِّ أوستن هاريسون، المهندسِ الرّئيس في حكومة الانتداب البِريطانيّ، وبدأتْ أعمال البناءِ سنة 1930م، وانتَهَتْ سنة 1935م، وفتحَ المتحف أبوابَه للجُمهور بتاريخ 13/ 1/ سنة 1938م.

مخطَّط المتحف

متحفُ الآثارِ الفِلَسْطينيّ هو عبارة عن مجموعٍ مِعماريٍّ ضخمٍ، يضمُّ مقرَّ دائرة الآثارِ، ومبنَى المتحف، ويتكوَّنُ مخطَّطُ المتحف من قاعاتِ العرْضِ والإدارة، والمخازن، والمُخْتبرِ، والمكتبة، إلى جانب حديقةِ المتحف، ومواقِفِ للسَّيّارات (نور الدّين 1988: 234-237، مخطط المتحف ص 235، كودش-فاشدي وباروخ 2016).

والمتحفُ من تصميم المهندسِ البِريطانيِّ اوستين هاريسون، كبيرِ المُهندسين

في دائـرة الأشـغالِ العامّـة، في حكومـة الانتـداب 1923-1937م، والـذي قـامَ بتصميـمِ مجموعـةٍ مـن المبـاني الحكوميّـة في القـدس، وحيفـا، أبرزُهـا مبنَـى الحكومـة، ومبنَـى البريـدِ، ومبنَـى المحكمَـةِ في حيفـا، وهـو المهنـدسُ الـذي شـاركَ في تصميـم المتحـفِ الوطنـيِّ الهِنـديِّ في نيودلهـي، وعـددٍ مـن المبـاني العامّـة في جزيـرة مالطـا، والتـي كانـت تَخْضَـعُ للسَّـيطرة الكولونياليّـة البرِيطانيّـة.

وأسـلوبُ هاريسـون هـو مزيـجٌ مـن الأسـاليب المِعماريّـة المحلّيّـة المتوسـطيّة والمعـاصرة، واسـتوْحَى تصميمَـه مـن التّاريـخ المِعـماريِّ المتنـوِّع، والغَنِـيِّ في فِلَسْـطين. وتصميـمُ المتحـف كلاسـيكيٌّ مـع نـزوعٍ نحـوِ التّناظريّـة، والعنـاصرِ المِعماريّـة المحلّيّـة، كالقِبـاب، والعُقـودِ، والأرْوِقـةِ، والأقـواسِ، والشّـبابيك، وقـد أُنْجِـزَتْ مُخطّطـات البنـاء سـنة 1929م. وتـمَّ تنفيـذ المـشروعِ مـن قِبَـلِ إدارة خاصّـةٍ تابعـةٍ لدائـرة الأشـغالّ العامّـة، واسْـتُخْدِمَتِ المـوادُّ المحلّيّـة، والأيـدي العاملـةُ المحلّيّـة في البنـاء، كـما اسْـتُخْدِمَ الحجـرُ المحـلّيُّ الفِلَسْـطينيّ مـن جبـال القـدس، وجـرَى اسـتيرادُ بعـض المـوادِّ الأُخـرى مـن الخـارج. وقـد جُهِّـزَ المبنـى باسـتخدامِ أبـوابٍ مـن خَشَـبِ البلُّـوط مسـتوردةٍ مـن تركيّـا، أمّـا أُطُـرُ الشّـبابيك المعدنيّـة فقـدْ صُنِعَـتْ في بِرِيطانيـا إلى جانـب الزَّرافيـلِ والمقابـض، وتـمَّ كِسـاءُ البـابِ الرئيـس بألـواحٍ نحاسـيّة؛ عـلى الطّريقـة الزّخرفيّـة الأندلسـيّة في شـمال إفريقيـا العربيّـة (كـودش- فاشـدي وبـاروخ 2016).

وكان الاتِّفـاق الأصـليُّ يَقْـضي بـأنْ يُنْجَزَ المبنـى بحلول عـام 1931م، ولكنَّ المشروعَ تأخَّـرَ تنفيـذُه لعـدَّةِ عواملَ لوجسـتيّةٍ وسياسـيّةٍ، وتـمَّ وضـعُ حجَـرِ الأسـاس بتاريخ 19 حزيـرانَ، بحضـور المنـدوبِ السّـامي، ومديـرِ دائـرة الآثـارِ رشـموند وممثّلـينَ عـن المجتمَـعِ المحـلّيِّ، وأُحيـلَ العطـاءُ عـلى مُقـاوِل من الإسـكندريّة.

بعـد خمـسِ سـنواتٍ انتقلـتْ دائـرة الآثـارِ إلى مقرِّهـا الجديـدِ، بتاريـخ 20 أيّـار 1935م، وبـدأَ التَّخطيـط للعَـرْضِ المتحفـيِّ في المبنـى، والـذي اسـتغرقَ قُرابـةَ ثـلاثِ سـنواتٍ، وتـمَّ افتتـاحُ المتحـف بتاريـخ 13 كانـون الثّـاني 1938.(كـودش- فاشـدي وبـاروخ 2016، نـور الدِّيـن 1988).

ومُخطَّـط البنـاء متناظِـرٌ تقريبًـا، ومِحـوَرُه الرّئيـس يمتـدُّ مـن شـجرةِ الصَّنَوْبَـرِ

خلف المبنى، عَبْرَ السّاحة المركزيّة، والمَدْخلِ الرّئيس جِهةِ الشَّرق. وتُحيط قاعاتُ العرْضِ بالسّاحة المركزيّة على جهتَيْنِ، ومن جانبَيِ المَدخلِ الرّئيس يوجد جناحانِ مُثمّنانِ؛ واحدٌ يحوي المكتبةَ، والآخَرُ مسرحٌ صغيرٌ (أوديتوريوم). وتقع مكاتبُ إدارة المتحفِ في صفٍّ يتَّجهُ للخارج، من مركَزِ البناء، وعلى امتدادِ الرَّدَهات، اسْتُخْدِمَ بعضُها للدِّراسة، وإيواءِ المجموعات، وحَوَتْ مِساحاتُ العرْضِ المُثَمّنةُ محاريبَ لوضع اللّقى الكبيرةِ.

يُشكّل المبنى تُحفةً معماريّة، تتوسَّطُه السّاحةُ المركزيّة، وهو تصميمٌ مُستوحًى من القصور الأمويّة، وخصوصًا قصرَ الحمراءِ في الأندلس الذي يُعَدُّ تحفةً في الفنِّ المعماريِّ الإسلاميِّ عبرَ العصور. وتوجد بِرْكةٌ في وَسَطِ السّاحة، تتغذَّى بمِياهِ خزانيَْ مياهٍ كبيرَيْنِ عند طرفَيْها. وتوجد غرفةٌ صغيرةٌ عند طرفِ البِرْكة، جدرانُها مَكْسُوَّةٌ بالخزفِ الأرمنِيّ الأزرقِ والأبيضِ لِتَصاويرَ من الطّبيعة، وقد صمَّمَها فنّانُ الخزفِ الأرمنيِّ داودُ أوهانسيان. وكانتْ هناك نافورةٌ صغيرةٌ في حوضٍ مُثَمَّنٍ صغير في وَسَطِ الغرفة، والتي تمَّتْ إزالتُها في فترة لاحقةٍ، وتُحيط بالسّاحة ثلاثةُ أَرْوِقةٍ يفْصِلُها عن البِرْكة، وهي أروقةٌ مُقبَّبة بسقوفٍ ذات عَقْدٍ صليبيٍّ. وتمَّ عَرْضُ الموادِّ الكبيرةِ تحت هذه الأقواس (نور الدِّين 1988، كودش- فاشدي وباروخ 2016).

وقد تولَّى الفنّان البريطانيُّ اريك غيل (غرالفس 1999) نَحْتَ الرُّسومات على الجدرانِ الدّاخليّة للمتحف، وأبرزُها الرُّسومات العشرةُ على الجزء العُلْويِّ لهذه الأقواسِ، على طرفيَ البِرْكة، والتي تمثِّلُ الحِقَبَ الحضاريّة الرّئيسة التي تعاقَبَتْ على أرض فِلَسْطينَ على حدٍّ تقدير الفنّانِ، وهي كنعانُ، ومِصْرُ، واليهوديّةُ، وفنيقيا، وآشورُ- بابل، وفارسُ، واليونانُ، وروما، وبيزنطةُ، والإسلامُ، والصَّليبيّون. ويُلْحظُ أنَّ مرحلةَ ما قبل التّاريخ غيرُ مُمثَّلة، كذلك الحضارةُ العثمانيّة التي أُغْفِلَتْ أيضًا.

ويُتَوِّجُ كورنيشُ قوسِ المَدخلِ الرّئيسِ النّقْشَ التَّكريسيّ للمبنى «إن إنشاء هذا المتحف تم بتبرع من السيد جون روكفلر ليؤوي التراث الحضاري والثقافي لأهل هذه الأرض المقدسة» (البرغوثيّ 2012: 40). وجديرٌ ذِكْرُهُ أنَّ

روكفلـر في مذكّـرة التّفاهـم لم يشـترطْ وضـعَ اسـمِه عـلى المتحـف، وأنَّ تغيـيرَ اسـمِ المتحـف الـذي مـا زال منقوشًـا عـلى بابـه، كان مـن قِبَـلِ سُـلطاتِ الاحتـلال الإسرائيـليّ، في إطـارِ سَـعْيِها الدّائـب لإخفـاء هُوِيّـة المتحـف الفِلَسْـطينيّةِ.

محتويات المتحف، وقاعات العرض

يضُـمُّ متحـف الآثـارِ الفِلَسْـطينيُّ مـوادَّ أثريّـةً، مـن التَّنقيبـات التـي جَـرَتْ عـلى أرض فِلَسْـطينَ منـذ بدايـاتِ العمـلِ الأثـريِّ، وحتَّـى سـنة 1948م ((كـودش-فاشـدي وبـاروخ 2016، نـور الدِّيـن 1988: 237-241). إضافـةً إلى كمّيّـات كبـيرةٍ مـن المـوادِّ الأثريّـة في مخـازنِ المتحـف.

وجـاءتِ المـوادُّ الأثريّـة مـن القـدسِ ومَجِـدُّو، وعسـقلانَ، وتـلّ الدُّوَيْـرِ، وأريحـا، وَسَبَسْـطْيَةَ، وقـصرِ هشـامٍ، وعـينِ جِـدي، كـما يضُـمُّ المتحـفُ مجموعـةً مـن المخطوطـات التـي تـمَّ الحصـولُ عليهـا عَـبْرَ التَّنقيبـات الأثريّـةِ، أوِ الـشِّراء، في الفـترة مـا بـين 1947-1956.

تُحيـط قاعـات العـرضِ بالسّـاحة المركزيّـةِ، وتتميَّـزُ القاعـات المُسـتطيلةُ الشَّـكلِ باتِّسـاعها وعُلُوِّهـا، وتَتَخَلَّلُهـا الشّـبابيكُ الواسـعةُ؛ لتوفـير الضَّـوْءِ الطَّبيعـيّ، في أثنـاء فـترةِ الزّيـارة النَّهاريّـة. وتَزِيـنُ سـقوفَ قاعـات العَرْضِ رسـوماتٌ مُسـتوحاةٌ مـن سـقوفِ المبـاني العامّـة في رومـا القديمـة.

وقـد تـمَّ تنظيـمُ العـرضِ مـن قِبَـلِ قَيِّـمِ المتحـف الأوَّلِ جـون أليـف، في سِـياقٍ زمنـيٍّ تَسَلْسُـلِيٍّ.

وتضُـمُّ القاعتـانِ الرَّئيسـتانِ عرْضًـا مـن بدايـة العـصر الحجـريِّ، وحتَّـى العصـورِ الوسطى.

وتشـمُلُ قاعـاتُ العـرضِ الأخـرى المُثَمَّـنَ الجنـوبيَّ، ويضُـمُّ عرضًـا لموضوعـاتٍ معيّنـة، كالتّماثيـل، والنُّقـوش مـن بَيْسـانَ، والقاعـةُ الغربيّـة التـي تضُـمُّ التَّماثيـلَ الجِصّيّـة المنقولـةَ مـن قـصرِ هشـامٍ، في أريحـا، مـن تَنْقيبـاتِ ديمـتري برامـكي، وروبـرت هاملتـون، ومجموعـةِ أبـواب المسـجدِ الأقـصى، وسـقوفًا مـن كنيسـة

القيامة، وغرفةً عُرِضَتْ فيها مجموعاتٌ من النُّقود والحِليِّ والمُجوهرات، ومجموعةٍ كبيرةٍ من القِطَعِ المِعماريّة، والتَّوابيت الحجَريّة.

لا شكَّ في أنَّ العرْضَ حَمَلَ رؤيةً استشراقيّة للتّاريخ الفِلَسْطينيّ، وذلك من خلال تركيزِه على التّاريخ القديم، فالعرْضُ الزّمنيُّ يتوقَّفُ عند نهايةِ الفترة الصَّليبيّة، ولا يضُمُّ عرضًا لآثار حضارةِ الفترة العثمانيّة، والقرون الأخيرةِ المتَّصلةِ مباشَرَةً بالتُّراث الحيِّ للشَّعب الفِلَسْطينيّ. وهو إهمال متعَمَّدٌ ينطلِقُ من دوافِعَ أيديولوجيّةٍ، ويخدُمُ الأهدافَ المعلنةَ للانتداب البِريطانيِّ، والمتمثِّلةَ في وعدِ بلفورَ، بإنشاءِ وطنٍ قوميٍّ يهوديٍّ، وإنتاجِ رِواية تاريخيّة تخدُمُ المشروعَ الكولونياليَّ الصَّهيونيَّ في فِلَسْطينَ. ويتَّضح هذا الأمرُ في الجدل الذي صاحَبَ فكرةَ قَيِّمِ المتحف جون أليف، وهي إضافةُ مجموعةٍ من التُّراث التَّقليديِّ الفِلَسْطينيِّ في المتحف؛ استكمالًا للعرْضِ التّاريخيِّ، ولأنَّ هذا العرْضَ يتَّصلُ بثقافة الشَّعب الفِلَسْطينيّ وَهُوِيَّتِه، فقد رفضَتْ لُجنةُ المتحف عرْضَ المجموعة، كما تمَّ رَفْضُ مجموعة تَعْرِضُ تطوَّرَ الإنسانِ في المتحف؛ للأسباب ذاتها.

دليل المتحف

أَعَدَّ جون أليف قيِّمُ المتحف، دليلًا للمتحف، نُشِرَتِ الطَّبعة الأولى منه سنة 1937م، وتمَّتْ إعادةُ طباعة نسخةٍ منقَّحةٍ منه سنة 1949م، باسْمِ الدَّليل المخْتَصَرِ للعرْضِ؛ لتوضيحِ العصرِ الحجَريِّ، والعصر البرونزيِّ. وتحْمِلُ الطّبعة الأخيرةُ اسمَ دائرةِ الآثار، وحكومةِ فِلَسْطينَ، كَجِهَةٍ ناشرةٍ (أليف 1949). ومنذ احتلالِ مدينة القدسِ، والسَّيطرة على المتحف، اختَفَى هذا الدَّليل من التَّداول. وكَتَبَ أليف في تصديرِه للدَّليل أنَّه ليس سوى مقدَّمةٍ مختصرةٍ لتاريخ كلِّ فترة وحضارَتِها، لمساعدة أولئك مِمَّنْ هم ليسوا علماءَ آثارٍ أساسًا؛ لِتَتَبُّعِ مَسار الحضارات، ولا بدَّ من استخدامِه معَ دليل القاعات. ويُنَبِّه القارئَ إلى أنَّ القصدَ من هذا الدَّليل لم يكُنْ تقديمَ معلوماتٍ وافية، حول الكَمِّيّاتِ الهائلة من الموادِّ والبحوثِ التي تراكَمَتْ منذ إصدارِ الطّبعة

الأولى. ويَعْـرِضُ الدّليـل الفـتراتِ التّاريخيّـةَ تسلْسُـلِيًّا حسـبَ القاعـات؛ وهـي العـصرُ الحجـريُّ القديـم، والعـصرُ الحجَـرِيُّ الوسـيطُ، والعـصرُ الحجـرِيُّ الحديـثُ، والعـصرُ الحجَـرِيُّ النُّحـاسيُّ، والعـصرُ البرونـزيُّ، مُقسَّـمًا إلى ثـلاث فـتراتٍ؛ وهـي العـصر البرونـزيُّ المبكِّـرُ، والوسـيطُ، والمتأخِّـرُ.

المكتبة

تقـع المكتبـةُ في الجهـة الشّرقيّـة مـن المبنَـى، ويُمكـن الوُلـوجُ إليهـا مـن بـاب صغـيرٍ مُحْكَـمِ الإغـلاق، وهـي ذات عَقْـدٍ مُقَبَّـبٍ مكـوَّنٍ مـن العُقـود المتصالبـة، تتَّكِـئُ عـلى ثلاثـة أعمـدَةٍ قويّـة، وعنـد طـرفيَ الغرفـة محـرابٌ، وغرفـةُ خِدْمـات، وتسـمحُ شـبابيكُها الواسـعة بدخـول الإضـاءةِ الطَّبيعيّـة، وفيهـا قاعـةٌ للمطالعـة، ويُفْـضي بـاب آخَـرُ إلى غرفـة الأرشـيفِ (كوديـش- فاشـدي وبـاروخ 2016، نـور الدّيـن 1988).

يضُـمُّ المتحـف واحـدةً مـن أكبرِ المكتبـاتِ المُتخصِّصـة في علـم الآثـار، والتّاريـخ، واللُّغـات القديمـةِ. وفي عـام 1948م كان يوجـدُ في المكتبـةِ مـا يزيـد عـلى سـبعةَ عَـشْرَ ألـفَ عنـوانٍ، تشْـمُلُ كُتبًـا ومخطوطـاتٍ نـادرةً، حـول فِلَسْـطينَ، مـن القرنيْنِ السّـادسَ عَـشْرَ والسّـابعَ عَـشْرَ، وتقاريـرَ الرّحّالـة والمُستكشـفينَ من القرن التّاسـعَ عَـشْرَ والعشريـن، إلى جانـب تقاريـرِ التَّنقيبـات الأثريّـة والدِّراسـات المختَصَّة بعلمِ الآثـارِ واللُّغـات القديمـة (غنـدور 1967: 24-28). وفي اسـتطلاعِ السَّـيِّد فـوزي غنـدور، حـولَ مكتبـةِ المتحـفِ التـي زارَهـا سـنة 1967م، والتَقَـى خلالهـا بمديـرِ عـامِّ المتحـف السَّـيِّد عـارف العـارف، ونَـشَرَ تقريـرَه عشـيّةَ الاحتـلال الإسرائيـليِّ لمدينـة القـدس (غنـدور 1967: 27) يوجـد في مكتبـة المتحـفِ مـا يزيـد عـلى ثلاثـين ألـفَ عنـوانٍ. وفي دراسـتِه عـنِ المتحـف، يُشـير هـاني نـور الدِّيـن (1988: 237) إلى وجـود مـا يزيـدُ عـلى 60 ألـفَ مجلَّـدٍ في المكتبـة.

وفي إطار عمليّاتِ السَّلْبِ المنظَّمة لموارِدِ المتحف، رصَدَتْ منظَّمة عيمق شافيه الإسرائيليّة، وهي منظَّمة مختصَّةٌ بمتابعة الانتهاكاتِ، في حقل الآثارِ، خطَّةَ السُّلطات الإسرائيليّة المحتلَّة؛ لنقلِ المكتبةِ التي تقع في الأراضي المحتلَّة، إلى مكانٍ آخَرَ يقعُ في الشَّطْرِ الغربيِّ للمدينة المحتلَّة، منذ سنة 1948م.

قاعة الاجتماعات

توجد غُرفة للاجتماعاتِ ذاتُ مخطَّطٍ مُثَمَّنٍ، محاذيةٌ لمكْتَبِ مديرِ المتحف، وجدرانُها الخارجيّة دائريّةٌ، وتُشبه من الخارج منْظَرَ البرج (نور الدّين 1988، كوديش- فاشدي وباروخ 2016)، وقد خُصِّصَتْ هذه القاعةُ لاجتماعات المجلِسِ الاستشاريِّ. وتوجد محاريبُ في كلِّ ضِلْعٍ للغُرفة، مُخصَّصةٌ لجلوس المراقبين الذين يَحْضرُون الاجتماعاتِ، وتحت السَّقف المُقَبَّبِ، وعلى طول غرفةِ الاجتماعات، يوجد نَقْشٌ يونانيٌّ مكتوبٌ على الخَزَفِ، يحوي كلمةَ أركيولوجيا (علم الآثار)، دراسة الماضي، وهي اقتباسٌ من أفلاطونَ، لحِوار بين الفيلسوفِ اليونانيِّ سقراطَ الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلادِ، مع تلميذِه هيبياس، وقد سأل سقراطُ تلميذَه هيبياسَ ما الأشياءُ التي يُفضِّلُ النّاسُ سماعَها في أحاديثه، وأجاب هيبياسُ «حول الأُمَمِ، والأبطالِ، والنّاس، والمُدُن، وكيف خُلِقَتْ في الأزمنة القديمة، وباختصارٍ حول التّاريخ القديم (الأركيولوجيا)، هذا ما يرغبون في سماعه (أفلاطون، هيبياس 285).

المخازنُ، والغُرف الحصينة

زُوِّدَ المتحف بمخازنَ منيعةٍ ومحصَّنة أسفَلَه، إضافةً إلى غرفة قويّةِ التَّحصين، تُسْتَخدَمُ للطَّوارئ في أثناء الأزماتِ والحروب. وتحوي المخازنُ عشراتِ آلاف القِطَعِ الأثريّة، من التَّنقيبات التي جَرَتْ في فِلَسْطينَ، منذ أواخِرِ العصر العثمانيّ، وحتَّى سنة 1967م. وجديرٌ ذِكْرُهُ أنَّ بعضَ الموادِّ مسجلَّةٌ، وهذا ينطبق على مخطوطاتِ البحر الميّتِ، والموادِّ الأثريّة المعروضة، ولكنَّ القسمَ الأكبرَ من هذه الموادِّ، وخصوصًا الموجودةَ في المخازنِ، غيرُ مسجلَّةٍ. وهنا لا

بـدَّ مـن الإشـارةِ إلى الأرشـيفِ الكبـيرِ الموجـودِ، في المخْـزَنِ، والـذي يضُـمُّ وثائـقَ وتقاريـرَ غـيرَ منشـورةٍ، حـول المُسـوحاتِ والتَّنقيبـات الأثريّـة التـي جَـرَتْ عـلى أرض فِلَسْـطينَ، عـلى امتـداد القـرنِ المـاضي.

حديقة المتحف، والسّاحة الأماميّة

توجـد حديقـةٌ واسـعةٌ أمـام المتحـف، مـزروعٌ فيهـا أنـواعٌ متعـدَّدةٌ مـن الـورودِ، والأشـجارِ دائمـةِ الخُـضْرةِ، ويُحيـط بهـا بسـتانٌ مـزروعٌ بأشـجار الزَّيتـون، وفي الجانـب الخَلْفـيِّ للمتحـف بسـتانٌ مـزروعٌ بأشـجار الزَّيتـون، والفاكهـة.

اللُّجنة الدّوليّة

مـع نهايـةِ حُكـم الانتـداب البِريطـانيِّ، قامـت سُـلطة الانتـداب في عَمِلٍ اسـتباقيٍّ، بتأسـيس لُجنـة وِصايـةٍ دوليّـة لإدارة المتحـف (لاورنـت 2017: 45) مكوَّنـةً مـن 12 عُضـوًا ممثِّلين عـن الجِهـات التّاليـة:

- 4 مؤسَّسـات بِريطانيّـة، مـن بينهـا الأكّاديميّـةُ البِريطانيّـةُ، والمتحـف البِريطـانيُّ.
- الأكّاديميّةِ الوطنيّةُ الفرنسيّةُ.
- وِزارةِ الخارجيّة الفرنسيّة.
- عُضوَيْـنِ عـن دوائـر الآثـارِ العربيّـة بالتَّنـاوب (مِـصْرَ، وسـوريّةَ، ولبنـانَ، والعـراقِ، والأردُنِّ)
- الجامعةِ العبريّة.
- الأكّاديميّةِ المَلَكيّة السُّوَيْديّةِ.
- المعهدِ الأمريكيِّ للآثار.
- المدرسةِ الأمريكيّة للآثارِ في القدس.

وكـما يتَّضـحُ مـن القائمـة، فـإنَّ غالبيَّـةَ أعضـاءِ لُجنـة المتحـفِ مـن المؤسَّسـات الأوروبيّـة والأمريكيّـة، وهـي تخلـو مـن أيِّ مُمثِّـلٍ لسـكّان البـلادِ الفِلَسْـطينيِّين. اسـتمرَّتِ اللُّجنـة الاستشـاريّة الدَّوليّـة، في متابعـة العمـلِ مـعَ غياب ممثِّـلِ الجامعة

العبريّـة، حتَّـى سـنة 1966م، حـين قـرَّرَتِ الحكومـة الأردنيّـةُ تعريـبَ المتحـف، وإعـادةَ تشـكيلِ اللُّجنـة الاستشـاريّة الدّوليّـة للمتحـف؛ بموجِـبِ نظـامٍ خـاصٍّ.

المتحف الفِلَسْطينيّ تحت الإدارة الأردنيّة والدّوليّة (1948-1967)

في عـام 1948م ضمَّـتِ المملكـة الأردنيّـةُ الهاشـميّة مـا وَقَـعَ مـن أرضٍ فِلَسْـطينية، في جانبهـا مـن خـطِّ الهُدنـة، وفي مؤتمَـرِ أريحـا سـنة 1950م، تـمَّ ضـمُّ الضِّفّـة الغربيّـة رسـمِيًّا إلى المملكـة الأردنيّـة، وخضَـعَ قطـاعُ غـزَّةَ لـلإدارة المِصْريّـة. أصبحـتِ الآثـار الفِلَسْـطينيّة في الجـزء الـذي عُـرِفَ لاحقًـا بالضِّفّـة الغربيّـة يُـدارُ مـن قِبَـلِ دائـرة الآثـار الأردنيّـة، مـن مقرِّهـا الرَّئيـسِ في عـمّانَ، وتحـوَّلَ المتحـف، ومقـرُّ دائـرة الآثـارِ الفِلَسْـطينيّة إلى مقـرٍّ فرعـيٍّ لدائـرة الآثـار الأردنيّـةِ في الضِّفّـة الغربيّـة، والتـي بقيـتْ تحـت إدارةِ البِريطـانيِّ لانكسـتر هاردنـج، حتَّـى سـنة 1956م. وبَقِـيَ المتحـف تحـت إدارةِ اللُّجنـة الدّوليّـة، وكان أمـينُ المتحـفِ السّـابق جـون أليـف قـد أثـارَ فكـرةَ مشـاركةِ اليونسـكو، في إدارة المتحـف بعـد الحـربِ، ولكـنَّ هـذه الجهـودَ لم تَلْـقَ أيّـة اسـتجابة تُذْكَـرُ مـن قِبَـلِ اللُّجنـة الدّوليّـة. وتُشـير المراسـلات التـي تـمَّ الكشـفُ عنهـا مؤخَّـرًا، مـن قِبَـلِ راز كلـتر أنَّ جهـاتٍ إسرائيليّـةً كانـت عـلى تواصـلٍ مـع اللُّجنـة الدّوليّـة، وعارَضَـتْ تـولِّي الدُّكتـور ديمـتري برامـكي إدارةَ المتحـف، بعـد سـنة 1948م (كلـتر 2006). علْـمًا أنَّ برامـكي كان مفتِّشًـا في دائـرة الآثـار الفِلَسْـطينيّة، حتَّـى نكبـة عـامَ 1948م، وعَمِـلَ موظَّفًـا لفـترة قصـيرةٍ في المتحـف بعـدَ النَّكبـة.

وفي الفـترة مـا بـين 1948م، وحتَّـى 1966م، جَـرَتْ إدارة المتحـفِ الفِلَسْـطينيّ من قِبَـلِ اللُّجنـة الدّوليّـة، كـما تـمَّ اسـتخدامُ وديعـةِ المتحـف في الصُّنـدوق الـدَّوليّ للنَّفقـةِ عليـه (لاورنـت 2017: 46)، في تأكيـدٍ عـلى الطّابَـعِ الـدَّوليّ للمتحـف. ويتَّضـحُ أنَّ الحكومـةَ البِريطانيّـة لم تكـنْ بمنـأى عـن التَّطـوُّرات المَيْدانيّـة في هـذه المؤسَّسـة، وهـو مـا كشـفَتْه رسـالةُ روبـرت هاملتـون، مديـرُ دائـرة الآثـارِ الفِلَسْـطينيّة البِريطـانيِّ حتَّـى 1948م، يعـود تاريخُهـا لسـنة 1950م، موجَّهَـةً إلى جيرالـد لانكسـتر هاردنـج، مديـرِ دائـرة الآثـارِ الأردنيّـة، حتَّـى سـنة 1956م، عـبرَ

فيها هاملتون عن انزعاجه من سَيْرِ الأمورِ في المتحف، ويقوم فيها بتذكيرِ هاردينغ بِضَرورة التَّأكيدِ في إدارة المتحف، على العِلْمِ، وليس نحوَ الأهداف السِّياسيّة، أوِ القوميّة (لاورنت 2017: 46) في محاولةٍ لتحييدِ المتحف عن أيَّةِ توجُّهاتٍ وطنيّة.

وكان من بين مجموعاتِ المتحف الثَّمينة مخطوطاتُ البحر الميت، سواءٌ ما تمَّ الكشفُ عنه، من قِبَلِ الأفراد، والحصول عليه من خلال الشِّراء، أو عَبْرَ التّنقيبات الأثريّة التي قامتْ بها دائرةُ الآثار الأردنيّة، في خِربة قَمرانَ وكهوفِها، ما بين 1951-1965م، بالتَّعاون معَ المدرسة الفرنسيّة للدِّراسات الإنجيليّة في القدس. وفي سنة 1960م، قرَّرَتِ الحكومة الأردنيّة تأميمَ مخطوطاتِ البحر المَيْتِ، وتمَّ إيداعُها في متحف الآثار الفِلَسْطينيّ، في القدس، وتسجيلُها كتُراثٍ وطنيٍّ. وفي سنة 1967م، نَشَرَ الدُّكتور محمود العابديّ كتابَه بعنوانِ مخطوطاتِ البحر المَيْتِ، والذي أُعيدَ نشرُه من قِبَلِ جامعة اليرموكِ، وتحريرَ دكتور عُمَرَ الغول (العابديّ 2009). وتضمَّنَتِ المخطوطاتِ مجموعَتَيْنِ رئيستَيْنِ: المجموعةِ الأولى، والتي تمَّ الكشفُ عنها في أحدَ عَشْرَ كهفًا في مِنْطقة قَمْرانَ، وحَمَلَتْ أرقامَ I-XI، وهي كاملة تقريبًا، ويَصِلُ عددُها 823، وتضُمُّ 11 مخطوطًا من الجِلْدِ، والبقيّة من القِطَعِ الصَّغيرة 812 بأحجام مختلفة، ومن بين المُكتشفات اللّفائفُ النُّحاسيّة التي نُقِلَتْ لاحقًا إلى متحف الآثارِ الأردنيّ (البرغوثيّ 2012: 45).

وتضمُّ المجموعة الثّانية المخطوطاتِ التي تمَّ الكشفُ عنها، في الكهوف الواقعةِ شمالَ خِربة قَمرانَ، وجَنوبَها، حتّى صبيحةِ السّادس من حزيران عام 1967م، حين تمَّ احتلال المتحفِ من قِبَلِ الجيش الإسرائيليِّ، وتضُمُّ أكبرَ مجموعات مخطوطاتِ البحر الميت، وقد أوردَ د. عاصم البرغوثيّ (2012: 46) وصْفًا لهذه المجموعةِ، وهي كالتّالي:

1. المجموعةِ الكاملة للمخطوطات من الكهوف I-XI، في مِنْطقة قَمرانَ، ويعود تاريخُها للفترة ما بين القرن الثّالث الميلاديّ، وحتّى 68 ميلاديّة.
2. جميعِ المخطوطات من وادي المربَّعات، الواقعِ على بُعْدِ 8 كلم جنوبَ

خِربة قَمران، والمكتوبةِ بالعبريّة، والآراميّة الفِلَسطينيّة، واليونانيّة، ويعود تاريخُها ما بين 70 135- ميلاديّة.

3. جميعِ المخطوطات المُكتشفةِ في وادي الدّاليةِ، إلى الشّمال من مدينةِ أريحا، وتضُمُّ 40 مخطوطةً بالآراميّة الفِلَسْطينيّة، ويعود تاريخُ نصِفها إلى 375 قبل الميلاد، وتاريخُ إحداها إلى 335 ميلاديّة.
4. جميعِ المخطوطات المكتشفةِ في خِربة المردِ، الواقعةِ إلى الشَّرق من مدينة بيتَ لحمَ، والتي تضُمُّ مخطوطاتٍ مكتوبةً بالآراميّة الفِلَسْطينيّةِ، واليونانيّة، والعربيّة من الفترة البيزنطيّة المتأخِّرة، والعربيّة المبكِّرة.
5. جميعِ المخطوطات المكتشفةِ في الكهوف، جنوبَ عينَ جِدي، وتضُمُّ مخطوطاتٍ كبيرةً وصغيرةً، والمكتوبةَ بالخطِّ الآراميّ الفِلَسْطينيّ، واليونانيّ، والنَّبَطِيّ، ويعود تاريخُها إلى القرن الثّاني الميلاديّ.
6. الآلافِ من الجُذاذاتِ الصَّغيرة بأحجام مختلفة.

ورغمَ الغموض الذي يكْتَنِفُ خَلْفيّات قرارِ الحكومة الأردنيّة بتأميمِ المتحف، وإنهاءِ المكانةِ الدّوليّة له، نظرًا لِتَبِعاته المباشَرَة، في تمكين سيطرةِ سُلطات الاحتلال عليه، سنة 1967م، بدعْوَى أنَّه مؤسَّسة حكوميّةٌ، يُشير د. عاصم البرغوثيّ (2102: 44) إلى أنَّ د. عوني الدّجانيّ الذي عُيِّنَ مديرًا عامًّا لدائرة الآثار الأردنيّة، سنة 1960م، كان القوَّةَ الدّافعة وراء قرارِ تأميمِ المتحفِ، وتحويلِه إلى مِلْكيّة حكوميّة. وقد نُفِّذَتْ هذه الخطوةُ تحت إدارة السَّيّد سعيد الدّجانيّ وزيرِ السِّياحة الأردنيِّ، في نهاية عام 1965م، حيثُ وافقتِ اللُّجنة الدّوليّة على المطلَبِ الأردنيِّ؛ حَسَبَ روايةِ عاصم البرغوثيِّ. وفي بحثِها أشارتْ – إيلينا كوربت (2014: 195) إلى أنَّه، في نهاية 1966م، كان السَّيّد أنور الخطيب رأسَ الحَرْبة في تأميمِ المتحف. ويبدو أنَّ قرارَ التَّأميم تمَّ بالتَّوافق معَ اللُّجنة الدّوليّة، بموجبِ مذكِّرة تفاهُمٍ تمَّ التَّوقيع عليها بتاريخ 1966/11/26م، والتي كان من ضِمْنِ شروطِها الإبقاءُ على المخطوطات في المتحف، ويبدو أنَّ هذه الخُطوةَ تمَّتْ بضَوْءٍ أخضرَ من الحكومة الأمريكيّة، كما كشفتْ عن ذلك النِّقاشاتُ التي دارَتْ حول إدارة المُتحفِ سنة 1950م،

وأرشيفُ المدرسة الأمريكيّة، للآثار، وموقِفُ مدير المدرسةِ الأمريكيّة السَّيِّد هنري ديتوايلر الصَّريحة سنة 1960م، بوجوب نقلِ إدارةِ المتحفِ للحكومة الأردنيّة، وهو ما كشَفَتْ عنه بشكل جليٍّ دراسةُ السَّيّدة بياترس لورنت الأخيرةِ (1917: 46).

أصدرتِ الحكومةُ الأردنيّة قانونَ متحفِ الآثار الفِلَسْطينيّ المؤقَّت، رَقْمَ (72) لسنة 1966م، ونصَّ القانون في المادَّةِ رَقْمِ 2 على إبطال العملِ بمرسومِ متحف الآثارِ الفِلَسْطينيّ الذي أصدَرَهُ المندوب السّامي بموجبِ المادَّةِ (3) من مرسومِ فِلَسْطينَ لسنة 1948م، وتعديلِه بالقانون الأردنيّ رَقْمِ (3) لسنة 1955م. ونصَّتِ المادَّةُ الثّالثة على إناطةِ مِلْكيّة متحف الآثارِ الفِلَسْطينيّ وموجوداته كافّةً للحكومة الأردنيّة، بما في ذلك الأموالُ المُودَعة باسمِه في الداخل والخارج، على أنْ تُسْتَغَلَّ لغايات المتحف، ونصَّ القانون على تشكيلِ المجلِسِ الاستشاريِّ للمتحف، من قِبَلِ مجلِسِ الوزراء، وإصدارِ اللوائح التَّنظيميّة الخاصَّة بالمتحف.

قامتِ الحكومة الأردنيّةُ استتباعًا لقرارِ الاستملاكِ بتعديلِ «قانون متحفِ الآثارِ الفِلَسْطينيّ»، ويَحْمِلُ التَّعديل اسمَ «قانون معدَّل لقانون متحفِ الآثارِ الفِلَسْطينيّ رَقْمِ 77 لسنة 1966)، ويُقْرَأ معَ القانون رَقْمِ 72 لسنة 1966م، ويُعْمَلُ به من تاريخ العمل بالقانون الأصليِّ. وفي سنة 1967م، أصدَرَتِ الحكومة الأردنيّة نظامَ المجلس الاستشاريِّ لمتحف الآثارِ الفِلَسْطينيّ رَقْمِ 16 لسنة 1967م، ويتكوَّنُ من خمسةَ عَشْرَ عضوًا يختارهم مجلس الوُزراء وأُنيطَتْ بالمجلس مَهَمَّةَ تقديم التَّوصياتِ، حول موازنةِ المتحف السَّنَويّة، وتحسينِ المتحف، وتعيينِ الموظَّفين. ولم يَتَأَتَّ للمجلس العملُ، فقدْ وقَعَتِ القدسُ تحت الاحتلال الإسرائيليِّ، في السّادس من حزيران 1967م.

بعد النَّكبة كان يوسُفُ سعد سكرتيرًا للمتحف بعد 1948م، وقد عُيِّنَ قَيِّمًا للمتحف سنة 1957م، وقام بإصدار نشرَةٍ عن مخطوطات البحر المَيْتِ، أُعيدَتْ طِباعتُها عدَّة مرّات، ويردُ اسمُ يوسُفَ سعد في صَفقات شِراء المخطوطات، إلى جانب التَّنقيبات الأردنيّة الفرنسيّة في خِرْبة قمرانَ. وبعد استملاكِ

المتحـف عُـيِّنَ المـؤرِّخُ الفِلَسْـطينيُّ عـارف العـارف مديـرًا عامًّـا للمتحـف عـام 1967م، وكان عـلى رأسِ عملِـه عشـيّةَ احتـلال الضِّفَّـة الغربيّـة، وبَقِـيَ يتقَلَّـدُ هـذا المَنْصـبَ رمزيًّـا حتَّـى وفاتـه سـنة 1973م. وكان عاصـم البرغـوثيُّ رئيسًـا لقسـم المتاحـفِ في دائـرة الآثـارِ الأردنيّـة، ومسـؤولَ العَـرْضِ فيـه، وقـدَّم البرغـوثيُّ شـهادتَه حـول اللّحظـات الأخـيرةِ مـن حيـاة المتحـف الفِلَسْـطينيّ، قبـل سـقوطِه بيـد جيـش الاحتـلال الإسرائيـليّ، سـنة 1967م (2012: 34-59)، ونُـشِرَتْ هـذه الشّـهادة ضِمْـنَ منشـورات نـدوةٍ بعنـوان «دراسـات حـول مخطوطـات البحـر الميـت» التـي عُقِـدَتْ في الجامعـة الأردنيّـة، حـول مخطوطـات البحـر المَيْـتِ، والتـي أشْرَفَ عليهـا الدُّكتـور عُمَـرُ الغـول، أسـتاذ اللُّغـات القديمـة في معهـد الآثـارِ والأنثروبولوجيـا في جامعـة اليرمـوك. وبَـيَّنَ البرغـوثيُّ أنّـه قـد كَتَـبَ شـهادتَه سـنة 1967م باللُّغـة الإنجليزيّـة، وحـاول حينـذاك نَشْرَهـا في الصُّحـفِ البِريطانيّـة، بمسـاعدة عالِمَـةِ الآثـار البريطانيّـة كريسـتال بينيـت، مديـرةِ المدرسـة البِريطانيّـة في عـمَّانَ، وقـد اعتـذرت جميـعُ هـذه الصُّحَـفِ عـن نـشرِ قصَّـة احتـلال المتحـف الفِلَسْـطينيّ، في القـدس، حَسَـبَ أقـوالِ بينيـت (البرغـوثيّ 2012: 37).

وتشـكَّل طاقـمُ متحـف الآثـار سـنة 1967م، مـن عـارف العـارف مديـرِ عـامٍّ المتحـف، وعاصـمِ البرغـوثيّ رئيـسِ قسـم المتاحـف، وإبراهيـمَ العسـوليٍّ، مديـرِ قسـمِ العُـروضِ، وأبي جـورجَ مديـرِ قسـم التَّرميـم، ونجيـب ألبينـا رئيـسِ قسـمِ التَّصويـر، وصـبري العبـاديٍّ الموظَّـف الجديـدِ المعـيَّن في المتحـف، وموظَّـف الحِراسـة الليـليٍّ شريـد، ونـاصر شرطـيّ الأمـن، وموظَّـفٍ مـن أبنـاء عائلـة العلمـيِّ، كان يعمـل في قسـمِ الاسـتقبال (البرغـوثيّ 2012: 39). وفي مكتبـة المتحـفِ كان يعمـلُ السَّـيّد حمـدي النّوبـانيُّ، وهـو سـكرتير المتحـفِ، والموظَّفـانِ حسـام الديـن العلمـيّ، وفـرح سـالم. (غنـدور 1967: 26).

وشـاركَ المتحـف في تنظيـمِ عـددٍ مـن التَّنقيبـات الأثريّـة التـي قامـتْ بهـا دائـرة الآثـارِ الأردنيّـةُ في خِربـة قمـرانَ، وكهـوفِ خِربـة قَمـرانَ مـا بـين 1951-1965م، بالتَّعـاون مـعَ الأبِ رونالـد دي فـو مـن المدرسـة التَّوراتيّـة الفرنسـيّة في القـدس.

وجديرٌ ذكْرُه أنَّ موظَّفي المتحفِ الذين تشتَّتُوا في أرجاء الكون، ومن بينهم نجيب ألبينا، ابنُ مدينة القدس، رئيسُ قسمِ التَّصوير في المتحف، ما بين 1952-1967، وهو المُصوِّرُ الرَّئيسُ لمخطوطات خِرْبةِ قَمرانَ، وقد أنجَزَ ما يزيد على 1750 لوحةً فيلميّةً كبيرة لمخطوطات قَمران، وكانت أوَّلَ الصُّورِ وأكملَها للمخطوطات بِتَقنيّةٍ جديدة، وصَوَّرَ خمسَ مجموعات منها. وخلَّد عملَه في كتاب له. كان ألبينا شاهدًا على اقتحام القوّات الإسرائيليّة لمباني المتحف، والعَبَثِ بمحتوياتِه، وغادَرَ السَّيِّد ألبينا القدس بعد احتلال المدينة، سنة 1967م، وعاش في الوَلايات المتَّحدة حتَّى وفاته في المنفى سنة 1983م.

قام طاقمُ المتحف بتأمين مجموعةِ المخطوطات في المتحف، ووَضْعِها في مكان آمنٍ، معَ اقترابِ القوّات الإسرائيليّة المحتلَّة نحو مدينة القدس، ويَفيدُ عاصم البرغوثيُّ بأنَّ الطّاقم المَيْدانيّ في المتحف، بادَرَ إلى تغليف مخطوطاتِ البحر الميتِ؛ تمهيدًا لنقلِها إلى عمّانَ، وسَعَى للحصول على إذنٍ من وِزارة السّياحة بالنَّقل، ويبدو أنَّ وزير السِّياحة ردَّ على محاولات نقلِ المخطوطات إلى عمّانَ، بتعليمات واضحةٍ بعدمِ الموافقة على نقلِها وطلَبَ إبقاءَها في مكانها في المتحف، وهو القرارُ الذي نَقَلَه له مفتِّش الآثار في الضِّفَّة الغربيّة خير ياسين. (البرغوثيّ 2012: 47-48).

وينطوي هذا القرارُ على بُعدِ نظرٍ؛ لِما يُمكن أنْ يتعرَّضَ له هذا الذُّخرُ الإنسانيُّ من أخطار القصفِ في المعارك الدّائرة، رغمَ العلمِ اليقينِ بوقوعها لُقمةً سائغةً بيد الاحتلال الإسرائيليِّ المتعطِّش للسَّيطرة.

ويروي البرغوثيُّ في شَهادته حولَ اللحظات الأخيرةِ التي سَبَقَتْ سقوطَ المتحف بيد الاحتلال العسكريِّ الإسرائيليِّ، والقتال الذي دارَ حول المتحف، وكذلك التَّدابير التي اتَّخذها بإيداع الموادِّ الثَّمينة، وعلى رأسها مخطوطاتُ البحر المَيْتِ، في الغُرف المُحصَّنة في المتحف، بعد عدمِ الحصول على إِذْنِ نقلِها إلى عمّانَ من قِبَلِ الوِزارة (البرغوثيّ 2012: 48).

وقد سجَّلَ البرغوثيُّ في شَهادته كيف تمَّ اعتقالُه وزملاءَهُ من قَبلَ الجيش الذي اقتحَمَ مبنَى المتحف، وكيف تمَّ نقلُهم إلى سَطْحِ المبنَى، واستخدامُهم

كَدُروع بشريّة في أثناء القتالِ لبضعِ ساعات، وبعد السَّيطرة على مبنَى المتحَفِ تمَّ اقتيادُهم إلى داخل المبنَى، ورَوَى ما شاهدَه من خلال قاعة العرْضِ الرَّئيسة، ومنها إلى الرُّواق الشّماليّ باتِّجاه السّاحة الخلفيّة، وفي أثناء مرورِنا في القاعة الرّئيسةِ التي كانت تعُجُّ بالجنود، رأيتُ عددًا من خزائنِ العرْضِ مُهشَّمَة وخاويةً من محتوياتها، كما رأيتُ بين أيدي عددٍ من الجنود قِطَعًا أثريّة، وعقودًا وأساوِرَ، ونقودًا، وحِليًّا ذَهَبيّة، وأشياءَ أخرى (البرغوثيّ 2012: 55). ويتَّضح من بعض الإفادات الإسرائيليّة اللاحقة، أنَّ القوَّة التي قامتْ باقتحام مبنَى المتحَفِ مشكَّلةٌ من قوّات عسكريّةٍ شبهِ نظاميّة.

المتحف الفِلَسْطينيّ تحت الاحتلال الإسرائيليّ

بعد احتلالِ القدس الشَّرقيّة سنة 1967م، خضعَ المتحف لإدارة سُلطة الآثار الاسرائيليّة، والمتحف الإسرائيليّ؛ خلافًا للقانون الدَّوليّ، وتَكَرَّسَ، بواقعِ قرارِ الحكومة الإسرائيليّة ضمٌّ لمدينة القدس الشّرقيّة سنة 1981، والتي تُعَدُّ سلطةً محتلَّةً بموجِبِ القانون الدَّوليّ (لاورنت 2017: 52). ونقلَتْ دائرة الآثار الإسرائيليّة مقرَّها إلى مباني المُتحف (نور الدِّين 1988: 241).

وقد تمَّ وقفُ الموظَّفين الفِلَسْطينيّين العاملين في المتحَفِ بالجُملة، ومن بينهم عارف العارف مديرُ عامِّ المتحف، وعاصم البرغوثي، رئيسُ قسمِ المتاحف في دائرة الآثار الأردنيّةِ، ومعظمُ أفراد طاقَمِ المُتحف، إلى جانب السَّيطرة على مقرِّ دائرة الآثار، والمرافق المرتبطةِ به، كالمخازن والمكتبة. وفَقَدَ المتحف في أثناء وُجودِه تحت الاحتلال العسكريِّ طابَعَه المدنيَّ مع تحويلِه الى ثَكَنَةٍ عسكريّة مُحاطةٍ بالأسلاك الشّائكة والحَرَس (العيسة 2006)، ويرمُزُ إلى سُلطة الاحتلال للمدينة، كما فَقَدَ المتحف دَوْرَهُ المحلّيَّ تمامًا، وأصبح مكانًا غيرَ جاذبٍ لسكّان المدينة، ولا يُقدِّمُ أيّة برامجَ موجَّهةٍ للمواطنين الفِلَسْطينيّين، مثلِ الأيّام المفتوحةِ، أوِ الأنشطة المجتمعيّة.

وفَوْرَ احتلال المدينةِ قامتْ سُلطات الاحتلال الإسرائيليِّ بنقلِ مخطوطات

البحر الميّتِ إلى ما يُعرَفُ بمتحفِ الكِتاب في الشَّطر الغربيِّ للمدينة، والذي يقع بالقُرب من المتحف الإسرائيليِّ. وعلى مَدار فترة الاحتلال الإسرائيليِّ قامتْ سُلطات الاحتلال بنقلِ عديدٍ من الموادِّ الأثريّة بصورة غيرِ قانونيّة للمشاركة في معارض أثريّة، في الدّاخل والخارج، إلى جانب المُشاركة بموادَّ أثريّةٍ في معارض دَوليّة، كان من بينها المشاركةُ في مَعْرِضِ متحف أونتاريو الملكيّ في تورنتو، كندا. والذي نُظِّمَ في الفترة ما بين حزيرانَ 2009م وكانون الثّاني 2010، رغمَ الاعتراضِ الرَّسميِّ من قِبَلِ دولة فِلَسْطينَ، لأنَّ الموادَّ المعروضة منقولةٌ من متْحَفٍ فِلَسْطينيٍّ يقع في الأراضي الفِلَسْطينيّة المحتلَّة، وهو عملٌ مخالفٌ للقانون الدّوليّ والقوانين الوطنيّةِ والكَنَديّة. وتقِفُ خزائنُ العرضِ الفارغة في المتحفِ شاهدًا على نقلِ الموادِّ الأثريّةِ بصورة غير قانونيّة من المتحف المحتلِّ.

وتقدِّمُ المواقع الإسرائيليّة، بما في ذلك موقِعُ سلطة الآثارِ الإسرائيليّة، معلوماتٍ مُضلِّلةً عن تاريخ المتحف، وتغْفُلُ عن حقيقةِ أنَّه متحفٌ محتلٌّ يقع ضمنَ الأراضي الفِلَسْطينيّة التي تمَّ احتلالُها سنة 1967. وتتمثَّلُ أبرزُ أوجُهِ التَّضليل في تغييرِ الاسم الرَّسميِّ للمتْحَفِ والإشارةِ إليه بمتحَفٍ روكفلر، في محاولة لِطَمْسِ الاسمِ الرَّسميِّ للمتحف، إلى جانب تقديمِ المتحَفِ خلافًا للواقع بكونِه متحفًا إسرائيليًّا، ويقعُ في دولة إسرائيلَ (يُنظر: كودش- فاشدي وباروخ 2016)، وهو عملٌ مخالفٌ للقانون الدَّوليّ.

وفي سنة 2016م قامتْ سُلطات الاحتلالِ الإسرائيليّة، في القدس بنقلِ مكتبةِ المتحفِ إلى الجزء الغربيِّ من المدينة، وَإِثْرَ اعتراضِ منظَّمة عيمق شافيه الإسرائيليّة (وهي منظَّمة تدعو إلى عدمِ الاستخدام السِّياسيّ للآثار في الصِّراع الفِلَسْطينيّ – الإسرائيليّ، وتلتزم بالقانون الدولي الذي يَعُدُّ الأراضيَ الفِلَسْطينيّة سنة 1967 أراضيَ محتلَّة) على قرار النَّقل وتوجُّهها إلى محكمة العدل الإسرائيليّة العليا؛ لوقفِ القرار(عيمق شافيه) 2016، أصدرَتِ الأخيرة في سابقةٍ قانونيّة ضدَّ القانون الدَّوليِّ، قرارها بتاريخ 7/19 /2016 بتأييد قرارِ النَّقل بكَوْنِ أنَّ سلطة الآثار الإسرائيليّة مسؤولةٌ عن الآثار في المتحف

الفِلَسْطينيّ، ولها الحقُّ في نقلِ المكتبة والآثارِ إلى القدس الغربيّة؛ استنادًا إلى القانون الإسرائيليِّ، وقرَّرَت من طَرَفِها أنَّ القانون الدّوليَّ غيرُ ذي صِلَةٍ (لاورنت 2017: 35)، في تحدٍّ صريح للقانون الدّوليِّ، الذي ينطَبِقُ على مدينة القدس بصِفتِها مدينةً محتلَّة. ومن اللافتِ هنا غيابُ موقفِ من قِبَلِ «اليونسكو» والحكومات الأوروبيّة التي طالما تدخَّلَتْ في وضعيَّة المتحفِ في فترة الإدارة الأردنيّة.

المتحف الفِلَسْطينيّ، والآفاق المستقبليّة

يَعُدُّ الخطابُ الرّسميُّ الفِلَسْطينيّ متحفَ الآثار الفِلَسْطينيَّ متحفًا يقبعُ تحت الاحتلال الإسرائيليّ، منذ سنة 1967، بصِفته يقعُ ضمنَ مدينة القدس المحتلَّة، استنادًا إلى القانون الدَّوليِّ الإنسانيِّ (طه 2001). ويُشار إلى هذا المتحف أيضًا، كمتحفٍ وطنيٍّ تحت الاحتلال، كما يظهَرُ ذلك أيضًا، في مُجمل البحوث العامَّة حول المتْحَفِ (ينظر مثلًا: نور الدِّين 1988 أبو خضير والمحتسب، 2008) وتُتابعُ دولة فِلَسطينُ الانتهاكاتِ الإسرائيليّةَ بحقِّ المتحف، وقد تمَّ التَّأكيد على هذه الصِّفة في منشورات وزارة السِّياحة والآثار. وَعَدَّ قانون التُّراث الفِلَسْطينيّ المادِّيِّ، بالقرار الجديدِ الصّادر عن الرَّئيس الفِلَسْطينيّ محمود عباس، أنَّ متحفَ الآثار الفِلَسْطينيّ في القدس، متحفًا وطنيًّا للدَّولة، كما جاء في الفقرة (1) من المادَّة رَقْمِ 32 (قانون الآثار 2018). ولا شكَّ في أنَّ مستقبل المتحف، ومقرُّ دائرة الآثار الفِلَسْطينيّة، وما تحويه من موادَّ أثريّةٍ، ووثائِقَ، مرتبطٌ بمفاوضات الحلِّ النّهائيِّ، حول القدس. ورغمَ المحاولات الإسرائيليّة الدّائبة فَرْضَ وقائعَ ميدانيّةٍ، في المتحف، وتسويقه إعلاميًّا وسياحيًّا كمتحف إسرائيليٍّ، استنادًا إلى قرارِ ضمِّ مدينة القدس، والاعتراف الأمريكيِّ بالقدس عاصمةً لدَولة إسرائيلَ، فإنّه يبقَى مصيرُ المتحف مُعلَّقًا ورهْنًا بالتَّطوُّرات السّياسيّة، ولذلك، وحتَّى توقيعِ اتِّفاق سلامٍ نهائيٍّ بين فِلَسْطينَ وإسرائيلَ، فسَيَبْقى المتحفُ مؤسَّسةً ثقافيّة فِلَسْطينيّة تحت الاحتلال؛ بموجِبِ القانون الدَّوليِّ الإنسانيِّ.

المصادر باللغة العربيّة

- البرغـوثيّ، عاصـم 2012، المتحـف الفِلَسْـطينيّ ومخطوطـات البحـر الميْـت، دراسـات في مخطوطـات البحـر الميـت، تحريـر د. عمـر الغـول، كليّـة الآثـار والانثروبولوجيّـا، جامعـة اليرمـوك: 34-59.
- طـه، حمـدان، الـتُّراث الثّقـافيّ والهُوِيّـة الفِلَسْـطينيّة، في الهُوِيّـة الفِلَسْـطينية الى أيـن؟، جمعيـة إنعـاش الأسرة، مركـز دراسـات الـتُّراث والمجتمـع الفِلَسْـطينيّ، البـيرة، 2009: 85-99.
- --- (تحريـر) دليـل المتاحـف في فِلَسْـطين، وِزارة السِّـياحة والآثـار، رام اللـه، 2009.
- العابـدي، محمـود «مخطوطـات البحـر الميـت». الطَّبعـة الثّانيـة: مراجعـة وتقديـم عمـر الغـول. المـشروع الأردنيّ لمخطوطـات البحـر الميـت: إربـد: جامعـة اليرمـوك، 2009.
- العيسـة، أسـامة، «متحـف الآثـار الفِلَسْـطينيّ» الـذي صـار اسـمه «روكفلـر»، جريـدة الـشَّرق الأوسـط، الأربعـاء 6 ربيـع الأول 1427ه 5 إبريـل، 2006 العـدد 9990، 2006.
- غنـدور، فـوزي، اسـتطلاع عـن مكتبـة متحـف الآثـار الفِلَسْـطينيّ، رسـالة المكتبـة- الأردنّ، 1967: 24-28.
- قـرار بقانـون رقـم (11) لسـنة 2018م، بشـأن الـتّراث الثّقـافيّ المـادّيّ، الوقائـع الفِلَسْـطينيّة (الجريـدة الرَّسـميّة)، ديـوان الفتـوى والتَّشريـع، عـدد رَقْـمَ 16، 2018: 25-45.
- منّـاع، عـادل، أعـلام مـن فِلَسْـطينَ، 1800-1918، مؤسَّسـة الدِّراسـات الفِلَسْـطينيّة، بـيروت، 2008 (الطّبعـة الرّابعـة).
- نجـم، خـضر والمحتسـب، دعـاء (إشراف)، أبـو خضـير، أسـامة، وبخـاريّ إحسـان، وجابـر، نـداء، والغـروز، وجـد، والقواسـمي، يوسـف، متاحـف القـدس، مقـدَّم إلى مؤسَّسـة الرُّؤيـا الفِلَسْـطينيّة، آب، 2008.
- نـور الدِّيـن، هـاني، المتحـف الفِلَسْـطينيّ: متحـف روكفلـر: تاريخـه ومحتوياته،

الفكـر العربيّ، عـدد 52، 1988: 232-242.

- يحيـى، شـذى، متحـف روكفلـر: حلقـة مـن حلقـات اخـتراع الأراضي المقدَّسـة، أوراق فِلَسْـطينيّة، عـدد 17 ، 2017: 45-58.

المصادر باللغة الإنجليزيّة

- Cohen-Hattab, Kobi and Shoval, Noam, Tourism, religion, and Pilgrimage in Jerusalem, Contemporary Geographies, leisure, Tourism and Mobility, Routledge, London and New York, 2015: 52-53.
- Corbett, Elena D, Competitive Archaeology in Jordan: Narrating Identity from the Ottoman to the Hashemites. Austin, University of Texas Press, 2014.
- Emek Shaveh. 2016. Press Release: The Supreme Court Permits the Transfer of a Library and Archaeological Artifacts from the Rockefeller Museum to West Jerusalem (July 21, 2016). http://alt-arch.org/en/press-release-rockefeller-museumpetition-july-2016.
-
- Graalfs, G. 1999. Eric Gill in Jerusalem: Artistic Work and Spiritual Affirmation. Antiquarian Book Monthly 26:30–58.
- Iliffe, J.H., A short Guide to the Exhibition Illustrating the Stone Age and Bronze Ages in Palestine, Government of Palestine, Department of Antiquities, Jerusalem, 1949 ((second revised Edition(.
- Kletter, R. 2006. Just Past? The Making of Israeli Archaeology. London: Equinox. . 2015. A History of the Archaeological Museum of the State of Israel in Jerusalem, 1949–1965. Bulletin of the AngloIsrael Archaeological Society 33:155–78.

- Kudish-Vashdi, R., and Y. Baruch. n. d. Historic Background. Israel Antiquities Authority. http://www.antiquities.org.il/article (accessed September 29, 2016(.
- Laurent, B., with H. TaŞkömür. 2013. The Imperial Museum of Antiquities in Jerusalem, 1890–1930: An Alternative Narrative. Jerusalem Quarterly: Institute of Palestine Studies 55 (Fall):6–45.
- Taha, Hamdan, Histroy and Role of Museums in Palestine. Study Series, Museums and Collection of Archaeology and Histroy, ICOM, 2002: 25-27.
- Taha, Hamdan, (editor), Directory of Museums in Palestine, Ministry of Tourism and Antiquities, Ramallah, 2009.